مؤرخ من بلدي العراق العظيم
الأستاذ الدكتور فيصل جريء السامر

أ.د. عادل محي الدين الألوسي*

حياته:-

- يحق لي أن أُفخر بالرجل الطيب الذكر الأستاذ الدكتور فيصل جريء السامر مرة لأنه رحمه الله أشرف علي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، ومره أخرى لأنه وقبل عشرين عاما كان أحد أساتذة قسم التاريخ الذي انتسب إليه، إنه أستاذي الذي اختطفته يد المنون في منتصف شهر كانون الأول عام 1982 م بعد مرض عضال لم تنفع معه محاولات الأطباء في مشفيات العراق ولندن.عاش عمرا ناهز الستين عاما قضاه في البحث والتدريس والنضال الدؤوب من أجل شعبه ووطنه، شغل خلاله الكثير من المناصب وتحمل العديد من المسؤوليات، فقد عين في 15\10\1958 بعد الثورة المباركة التي أطاحت بالحكم الملكي - مديرا عاما للتعليم العام في وزارة التربية وفي العام نفسه اختير وزيرا للإرشاد (الثقافة والإعلام فيما بعد)، أسس خلالها وكالة الأنباء العراقية والفرقة السمفونية الوطنية، وبعد استقالته من الوزارة في 13\5\1961 عين سفيرا للعراق في

*أستاذ التاريخ الإسلامي – قسم التاريخ – كلية الآداب والألسن – جامعة ذمار.

إندونيسيا ، بعدها عمل أستاذاً للتاريخ في جامعات براغ حصل فيها على بعض الشهادات التقديرية والفخرية ، عاد في عام 1969 ومعه عائلته إلى بغداد ليمارس التدريس من جديد في كليه الآداب بقسم التاريخ الذي تولى رئاسته للمدة من 20\11\1969 إلى 6\12\1970 ، ثم أستاذا متميزا يشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

- قضى الدكتور السامر مدة تزيد على الثلاثين عاما في التدريس الجامعي الذي بدأه أول مرة في كلية التربية سنة 1953 وهي السنة نفسها التي حصل فيها على شهادة الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا) عمل قبلها مدرسا في دار المعلمين الابتدائية وثانوية البصرة جنوب العراق.
- مارس النشاط السياسي مناضلا عنيدا في صفوف الحركة الوطنية إبان الحكم الملكي ، ففي سنة 1954 رشح نائبا عن لواء البصرة ضمن قائمة جبهة الاتحاد الوطني (عن المستقلين) مع المحامي محمد أمين الرحماني (عن التيار القومي) ومع ادكار سر كيس وجعفر البدر (عن الوطني الديمقراطي) ولم ينجح في هذه القائمة سوى المرحوم جعفر البدر الذي كان رئيسا لغرفة تجارة البصرة آنذاك . أما الآخرون فقد تشتتوا ، وكان نصيب المرحوم السامر منه الفصل وعلى أثره سيق لأداء الخدمة العسكرية في دورة ضباط الاحتياط العاشرة التي خصصت للمفصولين.
- أسهم رحمه الله في حركة المعلمين ، والدعوة إلى تأسيس نقابة لهم منذ بداية الخمسينيات قبل أن يتولى رئاسة أول نقابة للمعلمين في العراق التي شكلت بعد ثورة 1958 ، كما أسهم في تأسيس حركة السلم ، وحضر مؤتمرها الأول الذي عقد سريا في عام 1954. ولكونه مفصولا عن العمل سافر إلى الكويت للتدريس في ثانوية الشويخ إذ لم تكن هناك جامعة ، وبقى فيها حتى قيام الثورة المباركة عام 1958 . وللحقيقة أود أن أوضح أن المرحوم السامر كان مستقلا غير منتمٍ إلى حزب سياسي مع أنه في بداية الحكم الجمهوري تعاون مع الحزب الوطني الديمقراطي ، تؤكد هذه الحقيقة مواقفه المبدئية والاستقلالية والاعتدال والبعد عن التزمت والتطرف ، مما مكنته من الاحتفاظ بعلاقات طيبة وودية مع

جميع الفئات السياسية والوطنية والقومية . كان رحمه الله متفوقا في دراسته الابتدائية والمتوسطة على محافظة البصرة ، ولذلك اختير للدراسة في كلية الملك فيصل (كلية بغداد حاليا) ، بعدها أرسل في بعثة إلى مصر ليحصل على الليسانس في جامعة فؤاد الأول سنة 1947 . وفيها واصل دراسته للماجستير سنه 1949 ، ثم حصل على الدكتوراه سنه 1953 .

مؤلفاته وتراجمه:-

- مع أن المنية قد عاجلت الدكتور فيصل السامر وهو في ذروة نضوجه الفكري ونشاطه التربوي والأكاديمي ، فأنه رحمه الله قد خلف لنا مجموعة من المؤلفات التاريخية القيمة والتراجم المختارة التي تميزت بالأصالة والموضوعية والتي أضافت إلى معرفتنا عن التاريخ العربي الإسلامي الشيء الكثير .
- أول كتاب صدر له كان في سنة 1947 . وهو ترجمة لمسرحية (الأسلحة والرجل) لبرنا رد شو بالاشتراك مع قرني رفيق الدوغرمجي وصدر عن دار الفكر العربي بالقاهرة ، وفي سنة 1948 صدر مؤلفه الموسوم ب (صوت التاريخ) الذي لم اطلع عليه ، وبعد ثلاث سنوات صدر له في بغداد (الدولة الحمدانية في الموصل وحلب) ، وأعيد طبعه عام 1970 . والكتاب المذكور بجزأين وهو يستند عل الأطروحة التي نال بها المرحوم شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي في جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول) عام 1953 .
- وجاء كتابه الذائع الصيت الموسوم ب (ثورة الزنج) الذي نشرت طبعته الأولى في بغداد عام 1954 . والثانية في بيروت عام 1971 . والواقع أن المرحوم فيصل السامر قد قدم بحثا بعنوان (حركة الزنج / أثرها في تاريخ الدولة العباسية) ونال عليه شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي في جامعة فؤاد الأول عام 1949 . وحين طلبت دار القارئ نشره في سلسلة منشوراتها / حذف المؤلف كثيرا من التفاصيل غير الجوهرية وحور فيه قليلا .

يقول المرحوم السامر في تصديره للطبعة الأولى:-

" لعل الدافع الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو أن الحركات الاجتماعية في الإسلام لم تحظ بما حظيت به النواحي السياسية والحربية من الاهتمام من جانب القدماء والمحدثين ، حتى لقد اتهم الشرق الإسلامي بالعقم والجمود ، فقيل أنه لم يشهد ماشهد الغرب المسيحي من القلق الاجتماعي والهزات الفكرية ، وبعبارة أخرى أن التاريخ الإسلامي كان في نظر البعض مجرد مجازر وحروب ومؤامرات واغتيالات تدبر بطرق غامضة غموض الشرق في قصور الخلفاء والأمراء .... إنه محاولة لكتابة تاريخنا بأسلوب جديد يعير الحركات الاجتماعية أهمية ، باعتبارها خطوات خطتها الشعوب الإسلامية نحو تحسين أوضاعها بصرف النظر عن عدم انسجامها مع بعض مصالح الفئات ...."

وفي تصديره للطبعة الثانية أورد المرحوم السامر بعض الاستشهادات التي أقرضت هذا الكتاب منها !!

ما قاله الأستاذ أحمد علبي في مقدمة كتابه (ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد ، بيروت 1961) : وكتاب الدكتور السامر ، هو الدراسة الرصينة المسهبة التي تناولت ثورة الزنج وهي الوحيدة حسب ما نعلم .

وتساءل الأستاذ فؤاد دوارة في مقالة له في مجلة الكاتب: "ولكن ما ذنب القارئ الذي لم يطلع على كتاب الدكتور السامر ، وليس لديه الفرصة لذلك " ؟

ويقول المستشرق اليوغسلافي السكندر بويوفيتش في مقدمة أطروحته عن ثورة الزنج : " تتجلى الدراسة المعمقة للموضوع في كتاب فيصل السامر (ثورة الزنج) .... أن كتاب السامر يشهد لمجهود قيم يسعى صاحبه من

خلاله وللمرة الأولى إلى أن يرى ثورة الزنج من زاوية جديدة " .

ونشرت وزارة الثقافة والإعلام كتبا وتراجم للمرحوم السامر ، نذكر منها : -

كتابه القيم (الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى) ، بطبعته الأولى سنة 1977، وطبعته الثانية سنة 1986 . يقول المرحوم السامر في تصديره للطبعة الأولى لهذا الكتاب :

" أن إلقاء الضوء على مثل هذه الجوانب التي تكاد أن تكون مهملة ، يضع الحضارة العربية الإسلامية في مكانها الصحيح ، ويبرز تأثرها العميق في حياة وفكر شعوب تبعد عن العرب آلاف الأميال ، في وقت كانت فيه وسائل الاتصال شاقة " .

وأصدرت له في سنة 1983 كتاب (ابن الأثير) وأعيد طبعه ثانية سنه 1986 .

يقول المؤلف معرفا : " إن هذه الصفحات تهدف إلى أن تضع ابن الأثير في مكانه الصحيح بين المؤرخين العرب ، كما أنها تهدف إلى دراسته في إطار عصره الذي شهد اخطر مراحل التحول في العالم العربي الإسلامي بداية الزحف المغولي الرهيب المدمر الذي عاصره ابن الأثير ، ثم الغزو الصليبي الذي أستهدف بيت المقدس وأخيرا إلى تمزيق الدولة العربية الإسلامية إلى دويلات وإمارات ، حكمتها الأسر القوية المغامرة ذات القدرات العسكرية الضارية .

واستطرد قائلا : أن النقطة الجوهرية ، أن هذا المؤرخ العالم الأثير ، نظر إلى الخطر الخارجي نظرة شمولية واعتبر أي عدوان على طرف من أطراف الدولة العربية الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب رافدا يصب في النهر الأكبر وهو الغزو الأجنبي الذي يستهدف ضرب أكبر قوة حضارية في العصور

الوسطى ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كشف ابن الأثير بوضوح عن أسباب نجاح هذا الغزو ذي الشعب الثلاث التي تكمن في الفرقة والأطماع الذاتية ، وفقدان الروح الوثابة التي تميز بها الحكام العرب والمسلمون الأول بناة الدولة العربية الإسلامية .

وأطرق هذا الكتاب مجلة الفنون بتاريخ 27\2\1984 ، فقد نشرت ريبورتاجا يحمل صورة الفقيد جاء فيه : وهذا هو آخر كتاب للدكتور السامر قبل رحيله في العام الماضي ، وهو كتاب شيق ذو مادة علمية غزيرة ولا ريب في ذلك فالدكتور السامر كان مخلصا جادا في بحوثه وتأليفه .

وترجم المرحوم السامر كتابا لجوزيف أ . كاميليري بعنوان (أزمة الحضارة آفاق إنسانية في عالم صغير) وقد نشرته وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة 1984 بالاشتراك مع طالبته الأستاذة نبيلة عبد المنعم ، كما حقق رحمه الله كتاب (عيون التواريخ) بأجزائه الواحد والعشرين وكان ذلك سنة 1977 .

افتتحت الموسوعة الصغيرة التي تصدرها دائرة الشؤون الثقافية بوزارة الثقافة والإعلام سلسلتها بكتاب للمرحوم السامر هو (العرب والحضارة الأوربية) سنة 1977 ، وله رحمه الله كتاب عن الحضارة العربية يدرس في المدارس الثانوية بالاشتراك مع المرحوم د. ناجي معروف و د. صالح احمد العلي وآخرين ، وترجم رحمه الله كتاب (النظم الإسلامية) لديمو مبين بالاشتراك مع د. صالح الشماع ، وفي مهرجان المربد الأول كان المرحوم فيصل السامر من بين المدعوين البارزين ، وحين صدر عدد مجلة الأقلام الخاص بالمهرجان عام 1974 ، حمل مقالة متميزة للدكتور السامر بعنوان (خواطر وذكريات عن طه حسين) الذي كان أحد أساتذة الفقيد حين كان طالبا ف جامعة فؤاد الأول.

يذكر الأستاذ محمد الجزائري في مقالة عن الفقيد في مجلة الفنون الصادرة في 1983\2\14 بعنوان (الدكتور فيصل

السامر الإنسان العالم يرحل عن القلوب ويترك المحبة) أنه أي للفقيد قصة أسماها (الخندق) نسبة إلى المكان الذي ولد فيه بمحافظة البصرة في العراق ، والقصة طويلة كانت من حيث البناء والشخصيات أروع من (زقاق المدق) ..... وهذه القصة كتبها حين كان في القاهرة ، وفقدت منه كما فقدت من بين أوراقه العديد من قصائد صديقه بدر شاكر السياب التي أرسلها له في محاولة لنشرها في القاهرة .

وللمرحوم فيصل السامر بحوث مهمة ، نذكر منها :

- موقفنا من المدنية الغربية _ 1957 .
- في تاريخ العواصم والثغور بين الحرب والسلم _ 1968 .
- السفارات العربية إلى الصين في العصور الوسطى الإسلامية ، العدد الثاني \ مجلة الجامعة المستنصرية عام 1971 .

ملاحظات في الأوزان والمكاييل الإسلامية وأهميتها ، العدد 14\ مجلة كلية الآداب \ جامعة بغداد 1971 .

- التسامح الديني والعنصري في التاريخ العربي والإسلامي ، العدد الثاني \ المجلد الأول \ مجلة دراسات فلسطينية عام 1972 .

- الفكر العربي في مواجهة الفكر الغربي ، منشورات الجمعية العراقية للآثار والتاريخ عام 1972 . وهو البحث الذي ترجمته ابنته (سوسن) إلى اللغة الإنكليزية وحللته ونالت به شهادة الماجستير من المملكة المتحدة .
- حركة التجديد الديني والعلماني في إندونيسيا ، الحديثة ، مجلة جمعية الآثار والتاريخ العراقية سنة 1972 .
- أثينا والديمقراطية سنة 1971 .
- المتحف العائم أو جسر شارل عام 1972 .
- مواد الكتابة عند العرب ، تعليم الجماهير سنة 1979 .
- التعليم والثقافة في جيكوسلوفاكيا عام 1959 .
- وصدر له في باريس بحث عن جوانب جديدة في حياة الملك فيصل الأول ، ضمن أعمال الحلقة الدراسية للكوليج دي فرانس التي خصصت للوثائق العربية غير المنشورة في باريس عام 1976 .

أثرى عليه العديد من الكتاب العرب والأجانب ، فقد وصف بالموسوعية والألسنية فهو يجيد ويكتب بالفرنسية والإنجليزية واللاتينية والجيكية والإيطالية والألمانية ، على حد قول الأستاذ الجزائري في مجلة الفنون التي سبق ذكرها .

وأبنه صديقه الدكتور صلاح خالص في مجلة الثقافة \ عدد كانون الثاني عام 1983 بعنوان (الدكتور فيصل السامر في ذمة الخلود .... اختطفت يد المنون وجها مشرقا من وجوه العلم العراقي والثقافة العراقية ، ومعلما بارزا من معلمين الجيل ، وعقلا نيرا من عقول أبناء هذا البلد العريق ، ونفسا زكيةّ من نفوس أبنائه الميامين ، ومناضلا سياسيا آمن بشعبه و دافع عن حريته وحقوقه ، وتعلق بالديمقراطية والاشتراكية سبيلين لا غنى عنهما لإنقاذ هذا الشعب من الظلم والتخلف ، ووضعه على طريق التقدم والازدهار ، خرج من جميع الزعازع التي اجتاحت العراق في السنوات الثلاثين الأخيرة نقي الثوب طاهر الذيل لم يشبه تبدل ولم تدنسه انتهازية ، يأسف لفقده القريب والبعيد ، أنه الدكتور فيصل السامر الأستاذ في قسم التاريخ بكلية الآداب في جامعة بغداد ، وصاحب السجل المشرق في مجالات الثقافة والسياسة والعلم ، كما أقامت الأمانة لاتحاد المؤرخين العرب حفلا تأبينيا في أربعينية المرحوم السامر تحدث فيها

نخبة من أصدقائه ومعارفه ، كان من بينهم الدكتور هادي الحمداني الذي رثاه بقصيدة رقيقة في أكثر من أربعين بيتا ، يسرني أن أختتم بحثي المتواضع هذا بأبيات منها :

«عيون من التاريخ» بعدك تدمع	فليس لها من بعد عينيك مرجع
وكنت أباها وابنها وابن مجدها	فمن كل أطراف الميادين تجمع
أرى صورة الماضي بعينيك لوحة	يطوف عليها المبدعون ليبدعوا
مريض وأشكو بعض ما كنت تشتكي	ولا أدري ماذا في غد أتوقع
تموت ولا أبكي ،لمن دمعتي إذن؟	إذا لم تكن في مثل موتك تهمع
وأنت شهيد والشهادة موضع	بساح الوغى ،أو حومة العلم موضع
و أنت وسام في صدور كثيرة	كصدر بلادي ، تزدهي فيك أضلع
أحبك أستاذا وأهواك عالماً	ضليعاً لما تعني الحقيقة ينزع
غنيا بما تغني الكرامات أهلها	عزيزا بما يعلي النفوس ويرفع
أبيا فما أغرتك دنيا بوسعها	ومنصب طوع اليدين وموقع
نقيا و ما أسمى الرجال ضمائرا	إذا كان من وحي الضمائر تصنع
و عقلا أنار السالكين ولم يزل	ينير دروب السالكين ويسطع
تربى عليها الخيرون وهاهم	غصون من النبت الأصيل وأفرع
فخورون أن كانوا تلاميذ فيصل	وهل من فتى في فيصل ليس يطمع
وقفت من التاريخ وقفة عالم	يرى أن تاريخ الشعوب مضيع
ورحت عن العرب الأباة مدافعاً	لتثبت أن العرب أسمى وأرفع
أفيصل يا زين الرجال لحسرة	بأنك من قبل الأوان تودع
رأيت بك الدنيا إلى الآن لم تزل	بها الخير والأيام تحلو و تمرع
رأيت بلادي شمسها ونخيلها	على ضفتي عينيك تزهو وتفرع
و والله ما ضمت صحائف جيلنا	سطورا زهت فيها الصحائف أجمع
كمثلك فردا موته كحياته	و أخصب منها في المهمات وأمرع
فنم خالدا (عين التواريخ) تدمع	وليس لها من بعد فقدك مرجع

اعتمدت في هذا البحث على :-

- كتب المرحوم فيصل السامر وبحوثه .
- أوراق أعطتني إياها مشكورة ابنة الفقيد الأخت (سوسن) .
- مجلة فنون التي تصدرها وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، العددان المؤرخان في 4\2\1983 و 27\2\1984 .
- مجلة الثقافة عدد كانون الثاني 1983 .

- برنامج الحفل التأبيني الذي أقامه اتحاد المؤرخين العرب في أربعينية الفقيد .
- مجلة الثقافة ، عدد شباط 1983 التي نشرت نص قصيدة الدكتور هادي الحمداني .
- مجلة الكاتب ، العدد 17 في 1962 .
- ثورة الزنج ، لبويو فيتش ، السوربون 1965 .
- الإضبارة الشخصية التي يحتفظ بها أرشيف كلية الآداب ، بجامعة بغداد .

